

العتبات النصية في أدب الطفل في الجزائر صديق الشدة جمال الطاهري "أنموذجاً".

Paratextual Thresholds in Children's Literature in Algeria: The Friend of Hardship by Jamal Al-Taheri as a Case Study .

د. هجيرة أولحيسان، أستاذ مساعد صنف ب، جامعة طاهري محمد ببشار.

hadjiraoulhi@gmail.com

ملخص:

إنّ حضور العتبات النصية في أدب الطفل تشكّل أهمية خاصّة لارتباطها بالدلالات ذات الأبعاد الاجتماعية والثقافية والتاريخية، ممّا يعني أنّ العتبات بتركيبها البصري والجمالي تحدث تحوّلاً في تلقي هذه النصوص لغة وبنية ومضموناً.

والهدف من هذا المقال هو تتبع كيفية تلقي العتبات في المنجز القصصي لأدب الطفل في الجزائر، واختارنا قصّة "صديق الشدة" لجمال الطاهري نموذجاً لهذه الدراسة، حيث سنتحدث عن العنوان، والغلاف، وتأويلها انطلاقاً من قصته لنستكشف أهم ما تحمله هذه العتبات من أفكار ورؤى تسمح للقارئ بالولوج إلى القصّة وتجذب بالخصوص القارئ الطفل.

كلمات مفتاحية: العتبات النصية؛ جمال الطاهري؛ أدب الطفل؛ القصّة؛ صديق الشدة.

Abstract:

Presence of textual thresholds in children's literature holds special significance, as it is associated with meanings that have social, cultural, and historical dimensions. This means that these thresholds, with their visual and aesthetic composition, bring about a transformation in how these texts are received in terms of language, structure, and content

The aim of this article is to trace how textual thresholds are received in the narrative achievements of children's literature in Algeria. We have chosen the story "Sadiq Al-Shidda" by Jamal Al-TAhri as a model for this study.

We will discuss the title and cover, interpreting them based on the story to explore the important ideas and perspectives these thresholds convey, allowing the young reader to engage with the narrative and avoid potential pitfalls.

Keywords : Textual thresholds ; Jamal ALTahri ; Children's literature ; Story ; Sadiq Al-Shidda.

1. مقدمة:

القصة أحد فنون الأدب، التي تعمل على تنمية الطفل وإعمال مخيلته وتربيته وجعله ينخرط في المجتمع من خلال الثقافة التي تبثها فيه، ولهذا فالأديب عليه أن يكون حريصاً في كيفية طرح موضوعاته سواء من ناحية العتبات النصية أي الشكل الخارجي الذي يجذب الطفل، أو من ناحية المضامين والرسائل والقيم التي يحاول غرسها في وجدان القارئ محاولاً للوصول إلى عقله ليجعل منه طفلاً صالحاً سوياً في أفكاره منخرطاً في بيئته.

إن الدراسات الأدبية لأدب الأطفال في الجزائر لم تحظ بالاهتمام الكافي من قبل الدارسين إلا بما هو متوفر على قلته من أطروحات جامعية، يُضاف إلى هذا أن الطفل الآن صار لا يقرأ وأصبح متعلقاً بما هو إلكتروني كالهواتف، وبات ميّالاً للعب، وهذا ما جعل أدب الأطفال في الجزائر يعاني إجحافاً غير مبرّر في شتى فنونه، وذلك لغياب من يقرأه ويتذوّقه ومن ينقده ويقاربه. ولكن هذا لا ينفي وجود العديد من القصص التي تباع، وهناك أسماء إبداعية معروفة، وأخرى مغمورة. والقصة الموجهة للأطفال هي حكاية بلغة تصويرية هدفها التعليم والتربية والتثقيف.

والهدف من هذا المقال هو إبراز العتبات النصية التي اشتغل عليها جمال الطاهري في قصته من خلال الوقوف على العنوان والغلاف وعلامات الترقيم، في سبيل معرفة

إستراتيجية الكتابة عنده والإمساك بنصه وفهمها فهماً عميقاً، ومعرفة هل يمكن لتلك العتبات أن تقرّبنا من نصوصه أم تبعدها عنه؟ وتالياً هل تنم تلك العتبات عن إستراتيجية كتابة واعية أم أنها خاضعة للعفوية فحسب؟ وما هي هذه العتبات وما درجة حضورها في القصة؟ وما هي أهم القيم الدلالية والجمالية التي أضفتها هذه العتبات النصية على القصة؟

2. سيرة جمال الطّاهري واهتماماته:

هو عبد الكريم عُلي ولد بتاريخ 14 سبتمبر 1947 بحي عين الذهب بولاية المدية، ويعدّ جمال الطّاهري الاسم الأدبي المعروف به اختاره لظروف اجتماعية وسياسية خاصّة.

1.2 تعليمه:

التحق سنة 1953 بمدرسة الزيرية الحرّة، وتتلّمذ على يد الشيخ الطّاهر بركاني والشيخ المهدي بن حجر والشيخ محمد بن حضري، متحصّل على الإعدادية سنة 1963 ثم التحق بدار المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة، أين أمضى سبع سنوات من الدراسة، بعدما نال شهادة البكالوريا سنة 1969 دخل المعهد التكنولوجي للتربية من دون مسابقة وتخرج من أوّل دفعة مكوّنة من 19 أستاذاً معرّباً على المستوى الوطني سنة 1971 متحصّلاً على شهادة الكفاءة للتعليم المتوسط في اختصاصي اللّغة العربية والتاريخ والجغرافيا.¹

2.2 نشاطاته:

- أستاذ التعليم المتوسط للّغة العربية منذ سنة 1971 بإكمالية رقية مصطفى للبنات بالمدينة.

- مؤسس أوّل رابطة للكتّاب الشباب العرب باسم فينيس سنة 1971.

- عضو اتحاد الكتّاب الجزائريين منذ سنة 1972.

- عضو اللّجنة المديرية لاتحاد الكتّاب الجزائريين منذ سنة 1996.²

3.2 مؤلفاته:

- ديوان ملحق آمال للشعر صدر عن وزارة الإعلام والثقافة سنة 1970.
- ديوان نفح الياسمين، ط2، سنة 1980.
- ديوان الزهور في طبعتين قصائد للفتيان والفتيات سنة 1991.
- الدّجاجة المخدوعة ط1، مسرحية شعرية للأطفال سنة 1992.
- مجموعة قصصية للأطفال بعنوان أحلى الحكايا، صدر منها جزءان³.

3. العتبات النصية:

تعدّ العتبات النصية من أهم المفاهيم النقدية الأكثر حضوراً في الساحة النقدية المعاصرة، إذ هي إستراتيجية محيطة بالنص الأدبي، تسمح بفهم أسرارها والدخول إلى أعماقه. والعمل الأدبي يدرس في مستويين الأول هو النصّ الرئيسي الذي يشكّل مادة الكتاب وموضوعه، أما المستوى الثاني فيتمثل في العتبات النصية، هذه الأخيرة تعدّ الإطار الخارجي للنصّ التي تستكشف الغموض المكتنف به.

أخبار الدار على باب الدار على حد قول المثل المغربي، « ولا يمكن للباب أن يكون بدون عتبة تسلمنا العتبة إلى البيت، لأن بدون اجتيازها لا يمكننا دخول البيت»⁴. فالعتبات عبارة عن أبواب ومداخل تمكن المتلقي وتسعفه لكي يمسك بالخيط الأساسية التي تساعد على قراءة النصّ وفك رموزه وشفراته، فهي مرشد القارئ ودليله لفهم معاني النصّ والوصول إلى مختلف دلالاته سواء كان قصصياً أو روائياً أو شعرياً، تتمثل أهميتها في التعرّف « على الأجواء المحيطة بالنص ومقاصد الشاعر وموجهات تلقي نصوصه وأهميتها فلا يمكننا الدّخول إلى عالم المتن قبل المرور بعتباته لأنّها تقوم بدور الوشاية والبوح»⁵، فمن خلالها يمكن أن تعرف ما بداخل النص وما يقصده الكاتب فهي مرفقات أولية لبعض عناصر الإنتاج الأدبي، يتصفحها القارئ قبل ولوجه أي فضاء، والعتبة النصية « لا تمثل فقط قصديتها حضورها أو غيابها أو نصيتها وإنما أيضاً تمثل طرائق اشتغالها على

مستوى معيارية التلخيص أو التوجيه وفي ارتباطها بأطروحة المؤلف والمؤلف⁶ وهي تعبر عن ثلاث قواعد تتمثل فيما يلي:⁷

- القاعدة الأولى: تقف عند المظهر التركيبي للعبة النصية من حيث قدرتها التمثيلية على احتواء شروط الإنتاج النصي وبدائله، إنها قاعدة تنظر إلى اللعبة في إطارها كنص موازٍ لسياق العمل الأدبي والنقدي والفكري.
- القاعدة الثانية: تعدّ العلامة النصية علامة تضمينية تحقق نوعاً من التجاوز والتجاوز بينها وبين بقية مكونات هذا العمل أو ذاك، التضمين مقترح مركزي يستفاد من تفضيل الحديث عن جملة المقدمات التي تحقق نوعاً من التحليل الاستباقي، الذي يجعل من اللعبة بنية نفسية ضرورية لإنتاج المعنى.
- القاعدة الثالثة: تعرض لها خاصية القراءة المتعددة التي ترتبط بتوظيف اللعبة، باعتبار سياقها النصي أو الموازي المنفتح على مقاصد المؤلف وإمكانات الكتابة.

والحديث عن العتبات كشكل في قصة الطفل يقودنا إلى الحديث عن شروط الكتابة ونوعيتها الموجهة للطفل، فالكتابة هي هذا الوجود المتلبس والعميق الصلة بالتجربة الإنسانية، فتظل في جميع حالاتها مندفعة ومشحونة بقوة هاجسها وبالرغبة الفنية التي تجعلها « مفتوحة دائماً على أمثلة من الفكر والحوار المثمر والجاد مع التراث ومنجزات الثقافة الإنسانية »⁸. وأن تكتب لطفل كقارئ أكيد لن تكون كتابة في مستوى قارئ أكبر سناً وأكثر ثقافة، فعلى الكاتب وهو يكتب للطفل أن يراعي أو يختار عنواناً يجذب القارئ بشدة ويجعله يقبل على شراء القصة، وأيضا أن يراعي حجم الكتاب كأن لا يطيل فيه وغلافه ونوعية الرسومات والألوان الموضوع فيه، وأن يكون الأسلوب واضحاً وبسيطاً، فالذي يكتب للأطفال مطالب بتوفير شتى عناصر الانسجام والتكامل بين النص والنصوص المصاحبة للكاتب أو المؤلف وهو يكتب كلماته أو يؤلف بينها « يبدع طرائق جديدة في تنظيم بنياته النصية، التي يتشكل منها النص الذي يبدع وفق رؤية لعمله الإبداعي أو تبعاً لضروريات

تشكيل المعنى»،⁹ فالقاص عليه أن يبتكر طرائق جديدة ويكون متسلحاً معرفياً لينتج للطفل نصاً يجذبه للقراءة على المستوى الخارجي أي ما يحيط بالنص من الخارج العتبات وعلى مستوى المضامين ويقدم أفضل ما عنده لكي يسحر عقول الأطفال وقلوبهم.

4. العنوان:

حظيت عتبة العنوان باهتمام العديد من النقاد المحدثين ووضعتها في منصة التداول ليعلن العنوان أحقيته في التداول والتحليل ذلك أنه «أولى عتباته التي تمثل مداخله التي يقع عليها المتلقي سايكولوجياً ومعرفياً بما قد تحيل إليه مما هو خارج النص أو داخله»¹⁰. فالعنوان يكون محفزاً لقراءة النص وإما منقراً من تلقية وعدم القدرة على قراءته، وقد يكون العنوان «غير مألوف فيه بريق خادع للنص رديء ليس له من شعرية الشعر، وقد يكون مألوفاً ولكنّه مخالف لحس المتلقي مخاتلة أو مفارقة»¹¹ يكون محصوله إيجابياً في الاستدراج للدخول إلى النص والشروع في التأويل والتلقي، وذلك من خلال مقدرة كل قارئ على استنطاق المسكوت عنه.

يعدّ العنوان مفتاحاً تأويلياً يبعث على التفكير والتساؤل وقوة تمارس ضغطها على القراء ليتسع ويتعمق فعلها من قارئ إلى آخر فهو «إشارات أولية لما سيقوله الناص فيما بعد يأتي النص، فهو يثير انفعال المتلقي ويبعث على روح التساؤل فيه وهذا مرتبط بقدرة المبدع في اختياره»¹² ولم يكن اهتمام النقاد بالعنوان أمراً اعتباطياً ولا من قبيل الصدفة لو لم يكن للمبدع سعي منه إلى إبداع عنوان مميز لعمله الأدبي قادر على التأثير في المتلقي ولكونه «ضرورة كتابية»¹³ لذلك أصبح العنوان في النص ضرورة ملحّة ومطلباً أساسياً لا يمكن الاستغناء عنه في البناء العام للنصوص.

ويأتي العنوان في صدارة هذه الموجهات التي تثير فضول القراءة، بغية السعي لحل إشكالات النص وإمساك بدلالاته.

1.4 الدلالة المعجمية للعنوان:

نستنتج من الحقل المعجمي لكلمة العنوان كما جاءت في المعاجم العربية ثلاثة معان:

1- العنوان من مادة عنا فيحمل معنى القصد والإرادة.

2- العنوان من مادة عن فيحمل معنى الظهور والاعتراض.

3- العنوان من المادتين فيحمل معنى الوسم والتأثير.¹⁴

وإذا أردنا أن نستثمر مثل هذه المعاني في قراءة عنوان القصة "صديق الشدة" لجمال الطاهرين، فالقصد والإرادة هما من خصائص مرسل العنوان أي المعنون وهو المؤلف جمال الطاهري، والظهور والاعتراض هما من خصائص المرسل إليه أي المتلقي هو الطفل. وإذا جننا لمعنى القصد فالكتاب جمال الطاهري عنوان مؤلفه يحمل مقصديات تختلف وتأتلف مع مقصديات القارئ وقناعته، فمثلاً صديق الشدة من مقصدياته أن الصديق وقت الضيق، ولكن هل فعلاً الصديق وقت الضيق؟ ومن هو هذا الصديق، فمثلاً لو كان هناك طفل صغير يحدث عليه تنمر من قبل أصدقائه، فهل سيقبل على اقتناء مثل هذه القصة، أكيد المقصدية سوف تختلف إذا كان الطفل ليس له أصدقاء أو لديه أصدقاء كثير وفي وقت الشدة لا يجد أي شخص يقف بجانبه.

ويحدّد السؤال العتباتي للعنوان الزماني المكاني أي متى يظهر العنوان وأين؟

فتكون الإجابة بأن وقت ظهور العنوان هو بتحديد سنة صدور الفضة، مثلاً قصة "صديق الشدة" صدرت سنة 1993¹⁵ في طبعها الأولى. أما عن مكان ظهور عنوان القصة فظهر في الصفحة الأولى للغلاف مع صفحة العنوان « وهي من المناطق التي يسهل على القارئ والجمهور المستهدف أن يتداولها، وهي من أهم الأماكن لتلقي العنوان »¹⁶. أما معنياً الوسم والتأثير فيرسم حدود العلاقة بين العنوان والقارئ لأنّ العنوان بوصفه تأثير يقع فعله هنا على المتلقي من حيث أدائه لجملة من الوظائف « التي تأسر القارئ في لذة القراءة وهذا الأسر والاستغراق يتوقف إلى حدّ كبير على الخصوصية الأدبية التي يستند إليها في بنائها »¹⁷.

نلاحظ أن عنوان "صديق الشدة" عنوان ليس بالطويل وكلما اختصر العنوان زادت جودته وكان أكثر قدرة على شد الانتباه، والقارئ يلفت انتباهه هذا العنوان ويثير مجموعة من التساؤلات تدفعه للقراءة من مثل: من هو هذا الصديق وما علاقته بوقت الشدة؟ وكي يجيب القارئ على هذه التساؤلات عليه قراءة القصة بأكملها. والمتأمل في عنوان هذه القصة في انتظامها تحمل هذه المواصفات الآتية:

- كلها أسماء + عنوان قصير مكوّن من كلمتين.
- غاب عنها الفعل.
- غلبت عليها صفة النكرة لتصبح معرفة بالإضافة.
- تحمل ألفاظ الحب والصداقة والوفاء والإخلاص.

وعنوان "صديق الشدة" له خلفية ودلالات تربوية واجتماعية ودينية، وورد العنوان في القصة بخط عريض باللون الأسود ممزوج مع اللون الأبيض الذي يحيل على الصداقة والمحبة والأسود يرمز إلى الشدة والضيّق والأزمة التي قد يتعرض لها أحد الأصدقاء.

5. الغلاف:

تكمن أهمية الغلاف لما يحويه « من علامات تعدّد من صميم اهتمامات العتبات النصية في التوجهات النقدية الحديثة ذلك لامتلاكه فضاءً رحباً يتيح للقارئ أن يصدر أحكاماً نقدية مسبقة يقرّها النص الأدبي في حلته وشكله الطباعي الذي يطل به عليه»¹⁸. فهو بدوره يسهم في تشويق القارئ للدخول في مغامرة القراءة.

صدر الغلاف بعنوان سلسلته الطفلية أحلى الحكايا في الأعلى بالأسود، أما العنوان جاء بحجم كبير حتى يحرض القارئ على القراءة وإثارة فضوله. وغلاف قصة "صديق الشدة" من تصميم المؤلف نفسه أي جمال الطاهري مزج فيه بين اللون الأسود والأبيض، واللافت في هذا الغلاف هو الصّورة التي يحملها الغلاف لأنّه « يحمل رؤيا لغوية ودلالة بصرية»¹⁹. تعبّر الصورة عن قرد صغير يفتح خزانة ويتسّم وهو أحد شخصيات القصة وكأنّه يريد أن يقفز

فاتحاً ذراعيه، وكأن الكاتب تعمّد وضع هذه الصورة ليجذب القارئ ويشده، فهناك من الأطفال من يحب الحيوانات. وفي الأسفل يقبع اسم الكاتب وقد جاء اسمه في الأسفل تواضعاً من المؤلف بأن ما يقدمه للطفل هو أهم من اسمه، وما يريد إيصاله من أفكار أهم من الكاتب. وفي هذه القصة لم يحدد الكاتب التحديد الأجناسي لم يذكر هل هي قصة أم شعر، وترك القارئ هو من يحدد ويكتشف أنها قصة. وجاء في الغلاف رقم الطبعة الأولى وتحتها تاريخ الإصدار. وفي الغلاف الخلفي في الأسفل جاء ذكر اسم مؤسسة الطباعة مع البلد بخط رقيق.

ومن هنا يظهر دور الغلاف في القصة في توجيه المتلقي نحو دلالات خاصة مليئة بالاختلاف والتوتر والتهينة لاستقبال نص أكثر مرونة وتشبعاً في كسر دلالة القديم وخلق تقنيات ورسومات تحاول جذب أكبر نسبة من القراء.

6. خاتمة:

نخلص في النهاية أن القصة الموجهة للطفل في الجزائر صارت فناً أدبياً قائماً بذاته يجتهد أصحابها في وضع عتبات مغرية لإنتاج خطاب قصصي خاص بأدب الطفل ذي أبعاد تخيلية وأفاق معرفية وجمالية تسهم إسهاماً كبيراً في تنشيط عملية القراءة. ليس العنوان في أدب الطفل مجرد اسم يسمها بل مكوّن دلالي يرتبط ويعبر عن قضية ورسالة توجيهية وتربوية وأخلاقية ودينية يريد أن يربي بها الكاتب جيلاً من الأطفال. وبذلك يحتل العنوان في الخطاب الإبداعي مكانة يمثل خطاباً موازياً ومكملاً جمالياً للنص القصصي.

عبر الغلاف الذي نسجه المؤلف على مدى إدراكه لأهمية التشكيل البصري ودرجة تأثيره على المتن وعلى الطفل، والكتاب الجزائريون دائماً يبحثون عن الجديد والاختلاف.

لغة القصة هي لغة سهلة تميزت بمفردات بسيطة راعى فيها عمر الطفل، لغة راقية مناسبة للموضوع، جسدت الصلة بين القارئ والنص، لا تحمل مفردات غريبة ويستطيع القارئ أن يكون فكرة عن محتوى النص وتسهيل عليه عملية القراءة.

وبناء على ما سبق، نقترح بعض التوصيات:

- إنشاء دور نشر خاصة بالنشر للأطفال وتشجيع الكتاب الذين يكتبون لهذه الفئة وتسهيل سبل النشر عليهم، كأن يكون النشر مجاناً.
- العمل على تشجيع المطالعة في المدارس وتخصيص حصص لقراءة القصص والعمل على وضع مكاتب داخل المدارس لتزويد الطفل بمجموعة من القصص التي تقوي لغته وذاكرته ومخيّلاته.
- التخطيط الواعي لجعل مضامين أدب الطفل ضمن المناهج المدرسية الجزائرية، وجعل الأطفال يطلعون على القصص في الجزائر ويعرفون الكتاب الجزائريين، وتخطي عتبة الاستيراد الأدبي الذي جعل الكتاب الجزائريين مغمورين بالنسبة للمتلقي.

6. الهوامش والإحالات:

¹ - جمال الطاهري، الزهور ج2، دار الحضارة، المدية، 1991، ص الغلاف الأخير.

² - جمال الطاهري، نفح الياسمين، مؤسسة أشغال الطباعة، المدية، 1997، ص الغلاف الأخير.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - عبد الحق بلعابد، عتبات جيران جينيت من النص إلى المناص، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، لبنان، 2008، ص 13.

⁵ - محمد الصفرائي، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، النادي الأدبي بالرياض، ط1، الدار البيضاء، 2008، ص 133.

⁶ - عبد الفتاح الجحمري، عتبات النص البنية والدلالة، منشورات الرابطة، ط1، الدار البيضاء، 1996، ص 10.

⁷ - المرجع نفسه، ص 11.

⁸ - فرعون بخالد، المسار النقدي والإبداعي عند عبد الملك مرتاض، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 03، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سيدي بلعباس، 2004، ص 76.

- ⁹ - عبد الحق بلعابد، عتبات جيران جينيت من النص إلى المناس، ص 14.
- ¹⁰ - حافظ المغربي، عتبات النصّ والمسكوت عنه قراءة في نص شعري، مجلة قراءات، العدد 11، بسكرة، 2001، ص 8.
- ¹¹ - المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- ¹² - آمال ماي، تجليات شهرزاد في الشعر الجزائري المعاصر سامية عليوي أنموذجاً، دار قرطبة، ط1، الجزائر، 2011، ص 94-95.
- ¹³ - محمد فكري الجزار، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، مصر، 1998، ص 15.
- ¹⁴ - عبد الحق بلعابد، عنفوان الكتابة ترجمان القراءة العتبات في المنجز الروائي العربي، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2003، ص 278.
- ¹⁵ - جمال الطاهري، صديق الشدة، ط1، مؤسسة أشغال للطباعة والنشر، المدية، 1993.
- ¹⁶ - عبد الحق بلعابد، عنفوان الكتابة ترجمان القراءة العتبات في المنجز الروائي العربي، ص 280.
- ¹⁷ - خالد حسين حسين، نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، د ط، دمشق، 2007، ص 66.
- ¹⁸ - لعموري زاوي، رواية يرق الليل بين شعرية العنوان وفتنة الصورة، مجلة الخطاب، العدد 9، الجزائر، 2011، ص 78.
- ¹⁹ - جريس مخول، العتبات النصية والنص الموازي الكتاب لأدونيس أنموذجاً، أطروحة دكتوراه مقدمة في الأدب العربي، جامعة حيفا، كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2009، ص 24.